﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

[السّجدة: 1 - 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

تناسُبُ السّورة مع ما قبلها في الاستدلال على الوحدانيَّة والحشر والرِّسالة

في السّورة السّابقة - وهي سورة لقمان - جاء فيها دليلُ الوحدانيَّة في بَدْء الخَلْق مع ذِكْر الأصل، وهو الحشر والمعاد، وهو الأصل الثّاني، وختمَ السّورةَ بهما، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝٣٤﴾ [لقمان: 34]، ثمَّ بدأ سورةَ السَّجدةِ ببيان الرِّسالة، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، وهو الأصل الثّالث[1]، فجمعتِ السّورتان (لقمان والسَّجدة) الأصولَ الثَّلاثةَ: (الوحدانيَّة، والحشر، والرِّسالة)، فحصل التَّناسُبُ بينَ السّورتين الكريمتين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَيۡبَ﴾: (ريب) أصل يدلُّ على شَكٍّ، ويجوز أن يكون مع خوف[2]، والرَّيْبُ: ما رابَكَ من أمر، والاسم الرّيبةُ بالكسر، وهي التُّهمَةُ والشَّكُّ، ورابَني فلانٌ؛ إذا رأيتَ منه ما يَريبُكَ، وتكرهُه[3]، وفي الرَّيب تَوَهُّمٌ، فالرَّيْبُ: أن تتوهَّمَ بالشَّيء أمرًا ما، فينكشِفُ عمّا تتوهَّمه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الحجّ: 5]، ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: 23]؛ تنبيهًا أنَّه لا ريبَ فيه[4]، والمعنى المِحوريُّ: هو أن ينزل بالقارِّ السّاكنِ ما يزعجُه،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 135، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 427.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريب).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (ريب).
(4) الرّاغب، المفردات: (ريب).

ويُثيرُه، ويسوؤُه، ومنه: الرَّيْبُ والرّيبة: الشَّكُّ والظِّنَّةُ والتُّهَمَة، ينزل بالنَّفس السّاكنة أمرٌ غيرُ متبيَّنِ الوجهِ، أو غيرُ مُسوَّغٍ، فيُثيرُها، أحَقٌّ هو أم باطلٌ[1]؟.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تبدأ السّورةُ الكريمة بالأحرف المُقطَّعة (ألف، لام، ميم)، تلك الأحرفُ التي يعرفها العربُ المخاطَبُون بها، لكنَّهم لا يستطيعون أن يَصُوغوا مِثلَها، فالحروف تَحَدٍّ تِلْوَ تحدٍّ للعرب الفُصَحاء، وقيمتُها في أنَّها جاءت على سبيل الإيقاظ والتَّنبيه إلى إعجاز القرآن، فكأنَّ الله تعالى يقول لأولئك الكافرين المعارضين في أنَّ القرآن من عند الله، هاكُمُ القرآنُ ترونه مُؤلَّفًا مِن كلامٍ هو من جِنس ما تُؤلِّفون منه كلامَكم، ومنظومًا من حروف هي من جنس الحروف الهجائيَّة التي تنظِّمون منها كلامكم، ومِن ثَمَّ يتأتّى ذِكْرُ التَّنزيلِ العظيم الذي لا يَشُكُّ فيه شاكٌّ صحيحُ البصرِ والبصيرة؛ لأنَّه تنزيلٌ من ربِّ العالَمين[2].

الحروفُ المقطَّعة مظهرٌ للتَّحدّي القاهر والإعجاز الباهر

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الاستهلال بالحروف المقطَّعة ودلالاتِها:

أفادتِ الحروفُ المقطَّعةُ فوائدَ: الأولى: أنَّ القرآن عظيم، والإنزال له ثِقَلٌ، والكتاب له عبءٌ، وكلُّ سورة أوَّلُها ذِكْرُ القرآنِ والكتاب والتَّنزيل؛ قُدِّمَ عليها منبِّهٌ يُوجب ثباتَ المخاطَبِ لاستماعه[3]، الثّانية: أنَّه لمّا كان المشركون مِن قريش في مكَّة يمنعون النّاس من سماع القرآن مخافةَ أن يتأثَّرَ به السّامعُ به، فيؤمنَ، ويُوحِّدَ؛ كانت هذه الحروف تستهويهم بنغمها الخاصِّ، فيستمعون،

تحدّي العربِ الفصحاء بعظمة القرآن وإعجازِ البيان

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ريب، روب).
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 141.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 27، 28.

فينجذبون، ويؤمن مَن شاء اللهُ إيمانَهُ وهدايتَهُ، الثّالثة: أنَّ القرآن الكريم - بقرينة ذِكر الكتاب بعد الحروف غالبًا - قد تألَّف مِن مثل هذه الحروف: (الم، طس، حم، ق...)، فألِّفوا أيُّها المُكذِّبون سورةً من مثله، وإلّا فاعلموا أنَّه تنزيلٌ مِنَ اللّه ربِّ العالَمين، فلمّا عجزوا؛ قامت عليهم الحُجَّة، ولم يبقَ شكٌّ في أنَّه تنزيل اللّه، وأنَّه كتابُهُ أنزله على نبيِّه محمَّد ﷺ[1]، الرّابعة: الحروف المقطَّعة دالَّةٌ على معانٍ، فالألف: إشارة إلى اللّه، واللّام إشارةٌ إلى اللَّطيف، والميم إشارةٌ المجيد[2]، الخامسة: أنَّ عددَ الحروف التي ابتُدِئَت بها السّورُ أربعةَ عشرَ حرفًا، وهي نصفُ الحروف الهجائيَّة، وهي تشتمل على أنواع مخارج الحروف المختلفة، وهذه الحروف، هي: الألف، واللّام، والميم، والصّاد، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والرّاء، والسّين، والطّاء، والحاء، والقاف، والنّون، ولا يحفظُها، ويقرؤها إلّا مَن يعرف القراءة والكتابة، فالأُمّيُّ لا يعرفها، وإن عرف بعضها لا يعرفها كلَّها، وإلّا كان قارئًا كاتبًا؛ ولذلك هي في القرآن على لسان النَّبيِّ الأُمّيِّ مِن دلائل إعجازه[3].

بيانُ عُلُوِّ القرآن بإعجازه المُتفرِّد بمعالم البيان

نُكْتَةُ الابتداءِ بالتَّنزيل مادَّةً وصيغةً:

في البَدْء بالتَّنزيل عدَّةُ نِكاتٍ: الأُولى: مادَّة (نزل)، وما يُشتقُّ منها من إنزال وتنزيل تُفيد كلُّها أنَّه جاء من جهة العُلُوِّ إلى جهة أسفل منه، فكأنَّك تتلقّى من جهة أعلى منك وأرفع، وما دُمْتَ تتلقّى من جهةٍ أعلى منك؛ فإيّاك أنْ يضلَّ بكَ الفِكر لناحية أخرى[4]، الثّانية: في لفظة ﴿تَنزِيلُ﴾ إلماحةٌ إلى أنَّ القرآن ليس من عند محمَّد ﷺ، وإنَّما هو من عند اللّه المُنزِّل، فلا معنى إذًا لشَكِّكُم ورَيْبِكم،

(1) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 4/ 221.
(2) إسماعيل حقّي، روح المعاني: 2/ 2.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/ 92.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 19/ 11777.

الثّالثة: يقال: إنَّ التَّنزيل يختصُّ بالموضع الذي يُشير إليه إنزالُه مفرَّقًا، ومَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، الرّابعة: يقال: إنَّ اختصاص هذا اللَّفظ بالبَدْءِ؛ لأنَّ السّورة سُمّيت باللَّفظ نفسه، فقيل: سورةُ التَّنزيل[1]، الخامسة: أنَّ التَّنزيل مصدرٌ للفعل المُضعَّف (نزَّل)، ويدلُّ على القُوَّة كمًّا وكيفًا، وفيه دلالةٌ على عِظَم شأنِ نزول القرآن الكريم[2]، السّادسة: التَّنزيل مصدرٌ، والمصدر في اللُّغة ما دلَّ على حدث دونَ ارتباطٍ بزمن[3]، وفي هذا إلماحةٌ إلى تطاول حدثِ التَّنزيل وقتًا بعد وقت، فالزَّمن ليس محدودًا بحَدٍّ، وكلُّ ذلك لتثبيت فؤادِ الرَّسول ﷺ في مواجهة المنكرين الشّاكّين.

فائدةُ إضافةِ لفظ (التَّنزيل) إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

بيانُ أنَّ إطالة الجملة غايته التَّشويق لذِكْر الخبر

في إضافة التَّنزيل إلى ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، عدَّةُ فوائد؛ الأُولى: إطالةُ المبتدأ ﴿تَنزِيلُ﴾؛ ليَحْصُلَ - بتطويله ثمَّ تعقيبه بالجملة المعترضة - التَّشويقُ إلى معرفة الخبر، وهو قوله: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولولا ذلك؛ لقيل: قرآنٌ مُنزَّل من ربِّ العالمين، أو نحو ذلك"[4]، الثّانية: جاءت الإضافة؛ ليعودَ الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ على متقدِّم لفظًا ورُتبةً، ولولا الإضافةُ؛ ما حَسُنَ الضَّمير، وما كان له مكان، الثّالثة: التَّعريف بالإضافة، كما يقول أهلُ البلاغة: من أغراضها الاختصارُ والإيجاز[5]، أو تعظيمُ المضافِ باقترانه بالمضاف إليه، وهذا قائمٌ في هذه الإضافة مِنَ الإيجاز والتَّعظيم لِلَفْظَة ﴿تَنزِيلُ﴾.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

الكتابُ وصفٌ بالغُ الكمال في الإعجاز والجلال

في التَّعريف بـ(أل) فائدتان: الأولى: أنَّ (أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾

(1) البسيليّ التّونسيّ، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن: 2/ 385.
(2) إبراهيم هدهد، معجم الفروق اللّغوية اللّمحات البلاغيّة: 3/ 452.
(3) الصبّان، حاشية الصبّان: 2/ 159.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 205.
(5) أبو موسى، خصائص التّراكيب، ص: 162.

للحقيقة، والمعنى: ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يُخَصَّ به اسمُ الكتاب؛ لغاية تفوُّقِه على بقيَّة الأفراد في حيازة كمالات الجنس، حتّى كأنَّ ما عداه مِنَ الكُتُبِ السَّماويَّة خارجٌ منه بالنِّسبة إليه، وهذا يعني: أنَّ اللّام هنا مبالغةٌ في وصف الكتاب ببلوغه الدَّرجةَ القُصوى مِنَ الكمال والوفرة، فهو الحقيقةُ الباقية المُنزَّهة عنِ التَّحريف والتَّبديل، الثّانية: الدَّلالة على أنَّه صار علمًا بالغَلبة على أنَّه القرآن الكريم(1).

فائدةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

هناك مشابهةٌ بينَ الكُتب السَّماويَّة في أصول التَّوحيد والإيمان

فائدةُ لفظةِ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ جمْعُ الشَّرائع الأُخرى فيه، ومشابهتُه لها في كونها مكتوبةً؛ فأشبهَ التَّوراةَ؛ لأنَّها كانت مكتوبة في زمن الرَّسول المُرسل بها، وأشبهَ الإنجيلَ الَّذي لم يُكتَب في زمن الرَّسول الَّذي أُرسل به، ولكن كتبَه بعضُ أصحابِه وأصحابهم، وأنَّ الله أمر رسولَه أن يكتب كلَّ ما أنزلَ عليه منه؛ ليكونَ حجَّةً على الَّذين يدخلون في الإسلام، ولم يتلَقَّوهُ بحفظ قلوبهم، وفي هذه التَّسمية معجزةٌ للرَّسول ﷺ، بأنَّ ما أُوحيَ إليه سيُكْتَب في المصاحف، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ [الأنعام: 92](2).

نُكْتَةُ البَدءِ بالجملة الاسميَّة:

دلالةُ الثَّباتِ والاستمرار مناسبةٌ للنَّسق الاسميِّ المختار

افتتاحُ الكلامِ بالجملة الاسميَّة؛ لدلالتها على الدَّوام والثَّبات(3)، فكلمةُ ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ أو خبر، والاسميَّة تعني: أنَّ الكتاب دائمٌ ثابت لا يتغيَّرُ، ولا يتبدَّل؛ فالجملة الاسميَّة - الَّتي تعني الثَّباتَ - تناسِبُ عُتُوَّ الكفّارِ وصلابةَ رأيهم في القرآن، وثباتَهم على كفرهم

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/ 14.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 73.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 205.

وعنادهم، وعدمَ اعترافِهم بالقرآن، وكونُ تنزيلِ الكتابِ من أعظم أنواع التَّربيَةِ حينَ أُنزلَ عليهم، ففيه مصالحُهم الدّينيَّةُ والدُّنيويَّة، المشتمل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال[1].

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

التَّعجيلُ بنفي الرَّيب مفيدٌ في البيان بلا ريب

لم تُعطَف هذه الجملة على سابقتها لكمال اتِّصالها بها؛ لأنَّها مؤكِّدة لمضمونها، أو حالٌ منها، أو صفةٌ لها، فمعنى نزول الكتاب: أنَّه ليس عملًا بشريًّا، بل هو كلام اللّه الذي لا يأتيه الرَّيبُ من بين يديه ولا من خلفه، ويمكن أن تكون جملة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ معترضةً لا محلَّ لها مِنَ الإعراب، غرضُها إثباتُ مصدريَّة القرآن، وأنَّه مِن عند اللّه.

دلالةُ إيثارِ ﴿لَا﴾ بالنَّفي بها دونَ غيرِها:

دلالةُ النَّفي المطلقِ للرَّيب على الكتاب المرتاب فيه

﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تفيدُ التَّنصيصَ على نفي جنس الرَّيب، وهي آكَد مِنَ العاملة عمل (ليس)[2]، فوجودُها يعني النَّفيَ المطلقَ لكلِّ ريبٍ قد يحدث، ومِن ثَمَّ فقولنا: (ليس ريب) أو (ما ريب)، لا يؤدّي معنى: ﴿لَا رَيْبَ﴾، يضاف إلى ذلك غلبةُ حرفِ النَّفي (لا) في السّورة الكريمة، حيثُ وردت في ثمانية مواضع من السّورة [الآية: 4، 15، 17، 18، 23، 27، 29].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بلفظ (الرّيب) دونَ غيره:

بيانُ أنَّ نفيَ الرّيبِ دفعٌ للشَّكِّ والتُّهمة معًا

التَّعبير بالرَّيب معناه الشَّكُّ مع تهمة المشكوك فيه[3]، فالرَّيب شَكٌّ وزيادة؛ لوجود التُّهمة فيه، ويرافقه قلقٌ واضطراب، لذلك نفاه القرآنُ الكريم عنِ الأمور العظيمة الَّتي تُقلِق النّاس، كالسّاعة والقرآن، فكان أقوى في الدَّلالة على التُّهمة، وكان هذا حالُ الكفّار الشّاكين في القرآن، المُتَّهمين الرَّسولَ ﷺ بأنَّه هو الَّذي جاء بالقرآن

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرحمن: 1/ 364.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 240.
(3) ابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن: 1/ 47.

من عنده، فنفى القرآنُ الكريم كلَّ ريبٍ وشكٍّ، فليس بسحرٍ، ولا شِعر، ولا كهانة، ولا أساطيرِ الأوَّلين.

دلالةُ الظَّرفيَّة في قوله: ﴿فِيهِ﴾:

الكتابُ المُنزَّل متَّصِفٌ بالكمال من بدايته لخاتمته

الظَّرفيَّة في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ظرفيَّةٌ تقديريَّة مجازيَّة بتعبير الإمام الرَّضي[1]، فكأنَّ كلَّ كلمة في الكتاب لا ريبَ فيها، فالرَّيب منفيٌّ عن كامل الكتاب، كلمةً كلمةً، وحرفًا حرفًا، وهذا إيغالٌ في النَّفي، وتقريرٌ لعظمة كلِّ الكتاب مِن بَدْئه إلى خاتمته، فكان توظيفُ حرفِ الظَّرفيَّة هو الآكَد والأنجع فائدةً وشمولًا؛ لبيان خُلُوِّ الكتاب من كلِّ ريب، وقد يقال: "معنى (في) أن يكون الرَّيبُ مظروفًا في هذا الكتاب، أنَّه لا يشتمل على ما يثير الرَّيب، فالَّذين ارتابوا، بل كذَّبوا أن يكون مِن عند الله، لا يَعْدُون أن يكونوا متعنِّتين على علم، أو جُهّالًا يقولون قبلَ أن يتأمَّلوا، وينظروا، والأوَّلون زعماؤهم، والأخيرون دهماؤهم"[2].

دلالةُ الهاء في شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾:

الضَّمير والاختصار مع الشُّمول مفيدٌ في البيان المأمول

الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ راجعٌ إلى الكتاب، وهو يعمُّ مضمون الجملة، كأنَّه قيل: لا ريب في ذلك، أي: في كونه مُنزَّلًا مِن ربِّ العالَمين، ويشهد لوجاهته قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ لأنَّ قولهم: هذا مفترًى، إنكارٌ لأن يكون من ربِّ العالَمين، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، وما فيه من تقدير أنَّه مِن الله، وهذا أسلوب صحيح مُحكم[3]، فأدّى الضَّمير دورَ الاختصار والإيجاز.

دلالةُ موقعِ قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

مِن معاني العبارة الجليَّة تعديدُ النُّعوتِ والتَّبعاتُ والقصديَّةُ

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملةٌ تعدَّدت مواقعُها النَّحويَّة[4]، فهي صفةٌ للكتاب أو حال، أو هي معترضة، ولكلٍّ وجهُهُ في المعنى، فالصِّفة:

(1) الرّضيّ، شرح الكافية: 2/ 304.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 206.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 506.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 506، والنّسفيّ، تفسير النّسفيّ: 3/ 5.

تعني أنَّه من تعديد نعوت الكتاب، فهو كتاب غيرُ مرتابٍ فيه، والحاليَّةُ: تعني الثَّباتَ وعدمَ الانتقالِ، والاعتراضيَّةُ: تعني أنَّ هذا هو صلبُ القضيَّة، والنُّقطةُ المقصودة في النَّصِّ؛ لذا كان التَّعجيل بها بينَ المبتدأ والخبر.

نُكْتَةُ نفي الرّيب مع وجود المُرتابين:

سـطـوعُ البيان ينفي الرَّيبَ مع الإنصاف

لم ينفِ القرآنُ في قوله: ﴿لَا رَيْبَ﴾ أنَّ أحدًا لا يرتاب فيه، وإنَّما المَنفيُّ كونُه متعلِّقًا للرَّيب ومَظِنَّةً له؛ لأنَّه مِن وضوح الدِّلالة وسطوع البرهان بحيثُ لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23]، فما أبعدَ وجودَ الرَّيبِ منهم؟ وإنَّما عَرَّفَهم الطَّريقَ إلى مزيل الرَّيب، وهو أن يحزروا أنفسَهم، ويَروزوا قواهم في البلاغة، هل تتمُّ للمعارضة، أم تتضاءل دونها؟ فيتحقَّقوا عند عجزهم أنَّه ليس فيه مجالٌ للشُّبهة، ولا مدخلَ للرَّيبة[1]، وقد يقال هنا: لا شكَّ أنَّه مِن عند الله في نفس الأمر في اعتقاد أهل الحقِّ، ولم يُعْتَبر أهلُ الباطل[2]، ويمكن أن يُقال: إنَّ الجملة الخبريَّة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هي خبر لفظًا، إنشاءٌ معنًى، على معنى: (لا ترتابوا فيه).

سِرُّ تقديم اسم ﴿لَا﴾ على خبرها:

الإشارةُ إلى عدم مقارنة القرآنِ بكتابٍ آخر

القصدُ في إيلاء الرَّيب حرفَ النَّفي في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ نفيُ الرَّيبِ عنه، وإثباتُ أنَّه حقٌّ وصِدق، لا باطلٌ وكذب، كما كان المشركون يدَّعونه، ولو قيل: (لا فيه ريب)؛ لَقُصِد إلى ما يبعُد عن المراد، وهو أنَّ كتابًا آخَر فيه ريبٌ لا فيه، كما قُصِد - في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصّافات: 47] - تفضيلُ خَمْرِ الجنَّة على خمور الدُّنيا، بأنَّها لا تغتال العقولَ كما تغتالها هي، كأنَّه قيل: ليس فيها ما في غيرها من

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 32.
(2) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 1/ 68.

هذا العيب والنَّقيصة[1]، وهذا يشبه ما إذا قلنا: لا عيبَ في الدّار؛ كان معناه نفيَ العيبِ في الدّار، وإذا قلنا: لا في الدّار عيبٌ؛ كان معناه أنَّها تُفَضَّل على غيرها بعدم العيب[2].

معنى ﴿مِن﴾ في التَّركيب ودلالتُها:

ابتداءُ الغاية دليلٌ على التَّشريف والعناية

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ابتدائيَّةٌ، والمعنى: من عنده ووحيه، كما تقول: جاءني كتاب مِن فلان[3]، وابتداءُ الغاية هنا قبل التَّركيب: ﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فيه تشريفٌ للكتاب المُنَزَّل؛ لكون القدرة الإلَهيَّة هي صاحبة التَّنزيل والإبداع، وهذا داعٍ إلى ضرورة التَّصديق بالكتاب، وكأنَّ شِبهَ الجملة من تتمَّةِ نفي الرَّيب.

نُكْتَةُ التَّعبير بلفظِ ﴿رَّبِّ﴾، وإضافتِه:

احتواء اللَّفظ على عجائب الخَلْق مع حُسْن الاعتناء بهم

تتعدَّد نِكاتُ ذِكْرِ الرُّبوبيَّة في قوله: ﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ونجملها فيما يلي: النُّكتة الأولى: القرآن كتاب مُنزَّلٌ من ربِّ العالَمين، وهذا يعني: أنَّ فيه عجائبَ العالَمين، فتدعو النَّفسَ إلى مطالعته[4]، النُّكتة الثّانية: لفظة ﴿رَّبِّ﴾ تعني: الاعتناءَ والتَّربية، وإيصالَ المخلوق إلى الكمال، فكأنَّ تركيب ﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ داعٍ إلى ضرورة التَّربية من خلال الاهتمام بالقرآن، واتِّباع أوامره ونواهيه، النُّكتة الثّالثة: استحضارُ الجلالة بطريق الإضافة، بوصف ﴿رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دونَ الاسم العَلَم وغيرِه من طُرق التَّعريف، لما فيه مِنَ الإيماء إلى عموم الشَّريعة، وكونِ كتابِها مُنزَّلًا للنّاس كلِّهم، بخلاف ما سبق من الكتب الإلَهيَّة، كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: 48]، النُّكتة الرّابعة: الإيماءُ إلى أنَّ من جملة دواعي تكذيبهم به، أنَّه كيف خصَّ اللّهُ برسالته بشرًا منهم، حسدًا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 32، 33.
(2) الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن: 3/ 237.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 205.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 135.

من عند أنفسهم؛ لأنَّ ربوبيَّة الله للعالَمين تُنبئ أنَّه يختصُّ بفضله من يشاء، وأنَّه لا يُسْأل عمّا يفعل، وأنَّه أعلم حيثُ يجعل رسالاته[1].

فائدة (أل) في لفظ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

ملمَحُ عمومِ الكُتُبِ والشَّريعة وتوافقُ رؤوسِ الآي البديعة

(أل) في قوله ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جنسيَّةٌ، وفي ذلك دليل على كون الشَّريعة لكلِّ البشر، لا لطائفةٍ بعينها، وهذا يعني اختلافَ هذا الكتابِ عن الكُتُبِ كلِّها؛ لأنَّ الشَّرائع والكُتُب كانت تنزل لأقوام بأعيانهم، أمّا هذا الكتاب؛ فهو لكلِّ فرد مخلوق موجود.

سِرُّ التَّعبيرِ بجمع السَّلامة لا بجمع التَّكسير:

بيانُ خصوصيَّةِ خطابِ مَن يعقل

سِرُّ التَّعبير بـ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون (العوالم)؛ لكون الحديث عن النّاس في جملتهم، والإنسانُ إذا شارك غيرَهُ في اللَّفظ؛ غلب حُكمُه، وقيل: إنَّما جُمِعَ هذا الجمع؛ لأنَّه عُنيَ به أصنافُ الخلائقِ مِنَ الملائكة والجنِّ والإنس، دونَ غيرِها[2].

بلاغةُ المتشابهِ اللَّفظيِّ بين آيتي السَّجدة والبقرة:

بيانُ الإحاطة مع اختلاف المخاطَبين في الشِّدَّة واللّين

عُدِلَ في سورة السَّجدة عن أسلوب قولِه تعالى في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 1 - 2]؛ لأنَّ سورة البقرة نازلةٌ بين ظهرانَي المسلمين، ومَن يُرْجَى إسلامُهم من أهل الكتاب، وهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: 4]، وأمّا هذه السّورة (السَّجدة)؛ فقد جابَه اللهُ بها المشركين الَّذين لا يؤمنون بالإله الواحد، ولا يوقنون بالآخرة، فهُم أصلب عودًا، وأشدُّ كفرًا وصدودًا، وقد يقال: في سورة السجدة نَفَى الرَّيبَ عن تَنْزيل الكِتابِ، وفي سورة البقرة نفى الرَّيب عنِ الكتاب، فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 2]، فدلَّ مجموعُ الآيتين على نفْي الرَّيب عن الكتاب، وعن تنزيله[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 205.
(2) الرّاغب، المفردات: (علم).
(3) البسيليّ التّونسيّ، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد: 2/ 385.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القرآنُ والكتابُ:

لفظُ الكتاب أعمُّ دلالـةً مـن لفظ القرآن

الكتابُ يُطلَق على القرآن، وقد يُطلق على غيره مِن الكُتُبِ السَّماويَّة كالتَّوراة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: 91]، وقد جاء الجمعُ بينهما - أي: بين القرآن والكتاب، والمقصود واحد، وهو القرآن - في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل: 1]، فالكتاب هو القرآن، فجُمِعَ له بين الصِّفتين: بأنَّه قرآن، وأنَّه كتاب؛ لأنَّه ما يظهر بالكتابة، ويظهر بالقراءة[1]، إذًا فالكتابُ يُطلَق على القرآن؛ لأنَّه مكتوب، ويُطلَق على غيره مِنَ الكُتُبِ، فالقرآن والكتاب اسمان علمان للمُنَزَّل على محمَّد، وكذا وصفان؛ لأنَّه يُقرأ، ويُكتَب، فحيثُ جاء بلفظ التَّعريف؛ فهو العَلَم، وحيثُ جاء بلفظ النَّكرة؛ فهو الوصف[2].

الشَّكُّ والرَّيب:

لـفـظُ الـرَّيـب أعـمُّ في الدَّلالة والاستعمال من لفظ الشَّكِّ

الشَّكُّ تردُّدٌ بينَ أمرين، مع رُجحان أحدِهما، أمّا الرَّيب؛ ففيه شكٌّ بتهمة، وقد يُرافقه قَلَقٌ واضطراب؛ لذلك نفاه القرآنُ الكريم عنِ الأمور العظيمة، كالسّاعة والقرآن، وقد يعني الرَّيبُ صروفَ الدَّهرِ ونوائِبَهُ، وهذا ليس في لفظ المصدر (الشَّك) المرادف له.

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 154.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 207.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»